الاستشراق والحج المسيحي في التاريخ المعاصر

هبه فاروق هارون[1]، سلامة صالح النعيمات*[1]*

https://doi.org/10.35516/jjha.v18i3.1181

ملخص

تناولت هذه الدراسة مفهومًا حضاريًّا هو الاستشراق وعلاقته بالحج المسيحي في العصر الحديث ونظرة رجال الدين المسيحي الغربيين من مؤرِّخين وباحثين وحجاج للحج المسيحي من خلال مشاركة تجاربهم مع من يرغب من المسيحيين بالقيام برحلته إلى الأراضي المقدَّسة (فلسطين وشرق نهر الأردن) أو زيارة كهوف الرهبان الدينية المختلفة حول العالم. إن الحج المسيحي من وجهة نظرهم سيعود على الحاج بفوائد روحانية أكثر منها مادية من خلال زيارة أماكن الحج المسيحي الحقيقية؛ فالدعوة هنا تكمن بتعريف المسيحيين بالطقوس الدينية التي مارسها الحجاج الأوائل اقتداءً بالسيِّد المسيح وأتباعه من الحواريين الذين اتَّخذوا من نصوص الإنجيل المقدَّس مرشدًا لهم، فالحج ليس للتسلية أو لتمضية وقت الفراغ إنما هو عبادة وتوبة استمرت منذ القدم وما زالت مستمرة لوقتنا الحالي. وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدِّمة وتعريف بمفهوم الاستشراق، ثم توضيح لوجهة نظر المستشرقين الغربيين للحج المسيحي مع إعطاء أمثلة على قصص الحجاج الذين قاموا برحلة الحج إلى الأراضي المقدَّسة، سواء على أرض الواقع أو في الحلم.

الكلمات الدالة: الاستشراق، المستشرقون الغربيون، فوائد الحج، الرموز الدينية، الأماكن الحقيقية.

المقدِّمة

تُعَدُّ هذه الدراسة الأولى من نوعها لأنها تتناول مفهوم الاستشراق بأسلوب تاريخي ديني مختلف عن مفهوم الاستشراق المعروف لدى المؤرِّخين؛ حيث اعتمد الباحثان على مجموعة من المراجع والمصادر العربية الدينية والأجنبية مع التركيز على المراجع الأجنبية لأنها تناولت الموضوع باستفاضة واضحة ساهمت في تكوين فكرة لديهما تتعلق بالاستشراق والحج المسيحي من خلال رؤية رجال الدين المسيحي للحج، إضافة إلى الاستفادة من خطاب البابا بولس الثاني الذي ساعد الباحثين على ربط المعلومات الدينية مع ما ورد في المصادر والمراجع الأجنبية.

يستخدم مصطلح الحج على نطاق واسع لدى رجال الدين وفي الأديان، فالحج الديني هو الشائع بين الناس، إنه الرغبة في الوصول إلى المزارات والأضرحة والمواقع المقدَّسة ولمسها للحصول على بركة رجال الدين والقديسين والشهداء في الماضي، فالحج كما يراه الباحثون الآن هو إعادة برمجة حياة الشخص الراغب في المغفرة في رحلة دينية تهدف إلى الوصول للأماكن الحقيقية من أجل تحقيق الأفضل في كل مناحي الحياة. (Kreimer 2016 vol. 18(3): 7-12)

يعتبر السفر إلى مواقع الحج المقدَّسة عبر العصور هدفًا ساميًا في حياة الحاج المسيحي سواء لمواقع رئيسة، مثل: الكنائس والأديرة، أو ثانوية، مثل: الأضرحة والمزارات. وفي كلتا الحالتين هي تعبير عن تجربة دينية روحانية وحدث

[1] قسم التاريخ، كليَّة الآداب، الجامعة الأردنية، الأردن.

تاريخ الاستلام: 2023/5/3، تاريخ القبول: 2023/9/14.

©2024م عمادة البحث العلمي/الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

ديني يرغب الحاج أن يشارك فيه الآخرين ما مر به في أثناء رحلته كما كان في الماضي. (Kreimer 2016 vol. 18(3): 12; Lubov 2021)

إن مفهوم الحج المسيحي في وقتنا الحاضر –كما يراه الباحثون– يعتمد على الاقتداء وبمحبة خالصة لله؛ حيث كان الحاج في الماضي يمارس طقوسًا دينية متعددة، مثل: قراءة الكتاب المقدَّس، وإنشاد الترانيم، وإرتداء ملابس بسيطة، والتخلي عن مظاهر الحياة الفارهة والترف، إضافة إلى مساعدة الناس من المحتاجين والفقراء والمرضى (Wiśniewski 2018 Vol. 3: 202). إن حجاج الكتاب المقدَّس في الماضي كانوا يترفعون عن الأمور الدنيوية، فهي آخر اهتماماتهم؛ لأن قلوبهم وعقولهم معلَّقة بالسفر نحو المقدَّسات الدينية، وكانوا يرددون: "نحن لا ننتمي لهذا، نحن غرباء مسافرون نعيش في الخيام ونتطلع لشيء أفضل (Masters 2014 Issue 1:1)؛ فقد كانت رحلةُ الحاج في الماضي تعتمد على مدى قوة علاقته بالأناجيل الأربعة، بالمسيح وبالقديسين، وهذا كان الهدف الأساسي من رحلته، وعلى الحجاج الآن أن يسيروا على نهج الحجاج الأوائل (Capets 2018: 16).

كان على الحاج أن تزداد معرفته بالإيمان المسيحي، بالتأمل الكتابي، والصلاة من أجل الفوز ببركة المسيح ومغفرته، وعليه الآن أن يستكشف معنى "حاج لأجل المسيح" (Pilgrims for Christ)؛ لأن الهدف منه إحداث التوازن في النفس كما كان في الماضي. (Masters 2014 Issue 1: 2)

أولًا– مفهوم الاستشراق:

"الاستشراق حركة علمية قديمة يرجع تاريخها إلى أكثر من ألف سنة ولا تزال قائمة حتى اليومن وهي حركة واسعة النطاق متعددة الجوانب متشابكة الأطراف". (الخربوطلي 1988: 7)

إن مفهوم الاستشراق كما عرَّفه (رودي بارت) مشتقٌّ من كلمة (الشرق) التي تعني "مشرق الشمس"، إنه "علم الشرق أو علم العالم الشرقي" (بارت 2011 :17) ، أما مفهوم المستشرق فيعرِّفه الخربوطلي "بأنه عالم غربي يهتم بالدراسات الشرقية وليس بالضرورة أن يعيش فيه أو يتطبَّع بطباعه أو حضارته؛ فقد يدرسُ في جامعة غربية أو في وطنه، وإن كان رحيله إلى الشرق يجعل من دراساته أكثر فائدة وأقرب إلى الواقعية والحقيقة، وليس من الضروري أن يعتنق هذا المستشرق الإسلام أو أحد الأديان السائدة في الشرق، كما ليس من الضروري أيضًا أن يتحدث باللغات الشرقية، وإن كان الإلمام بها أو إجادتها يعينه كثيرًا في دراسته وأبحاثه (الخربوطلي 1988: 22).

فالمستشرقون الغربيون وعلماء اللاهوت المسيحي الآن بدأوا يسلطون الضوء على المسيحية وعلى الحج المسيحي ونشر طقوسه الدينية من أجل حماية "إخوانهم في العقيدة". (النملة 1998: ع4: 33)

ومن المعروف عن المستشرقين الأوائل بأنهم كانوا "ذوي مناصب دينية وأنهم قد انطلقوا من الكنائس والأديرة" (الحاج 1991 ع 2: 37)، وكان هذا واضحًا في القرن الرابع الميلادي الذي شهد تنظيمًا كهنوتيًا للكنيسة وازديادًا في نفوذها السياسي مع تطور واضح في اللاهوت المسيحي بسبب انتشار المسيحية بين المثقفين أتباع المدرسة الكلاسيكية القائمة على المنطق والفلسفة والمعروفين باسم "آباء الكنيسة الذين عملوا على التوفيق بين تعاليم المسيحية من جهة ومطالب الدولة والكنيسة من جهة أخرى". (عاشور 1976 ج1: 12).

يعود تاريخ كلمة الاستشراق إلى عام (1312م) بصدور قرار مجمع فينا الكنسي[1] (الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

[1] مجمع فينا الكنسي (1311–1312م) ويدعونه المجمع المسكوني الخامس عشر عقد المجمع في عهد البابا "اكليمنس الخامس" (1264–

St-Takla.Org) القاضي بتأسيس مجموعة من "كراسي الأستاذية في العربية واليونانية"، ولقد ظهرت الكلمة باللغة الإنجليزية عام 1779م تحت مصطلح (Orientalist) قبل مصطلح (Orientalism). (منصور 2001: 20–24).

بدا الاهتمام بالاستشراق مع بداية اكتشاف البلدان من خلال رحلات الرحالة الجغرافية لقارات العالم بحثًا عن مجالات تتعلق بالاقتصاد، والتبشير الديني، والمجال السياسي الاستعماري والثقافي أيضًا، ولقد كان للشرق سحره الخاص الجاذب لهؤلاء المستكشفين الراغبين في البحث والتوسع في هذه البلدان؛ مما ساهم في نشأة الاستشراق وولادته وتطوره في فترات تاريخية لاحقة موضِّحًا العلاقة المعقدة بين الشرق والغرب من خلال كتابات مؤرِّخين شرقيين مثل: "إدوارد سعيد"، وغربيين مثل "فوكو" (Michel Foucault 1926-1984) ، و"رودنسون" (Maxime Rodinson 1915–2004) و"جوته" (Johann Wolfgang von Goethe 1749–1832)، وغيرهم. (منصور 2001: 20–24).

ثانيًا– الحج المسيحي من وجهة نظر المستشرقين الغربيين:

تباينت وجهات النظر حول الحج المسيحي في الوقت الحاضر من باحث إلى آخر، فهنالك من ينظر إلى الحج بأنه يعتمد على عوامل عدة تسهم في وصول الحاج إلى هدفه من الرحلة، ومن هذه الوجهات:

أولًا: الرغبة في الحج إلى أماكن مقدَّسة، مثل كنيسة أو دير. (Nolan and Nolan 1989: 355-358.)

ثانيًا: الرغبة في زيارة إنسان/ شخص مقدَّس (متديِّن) للحصول على بركته وشفاعته. (Bowie 2006: 274)

ثالثًا: أن يكون الحج مرتبطًا بلمس الذخائر والمقتنيات المقدَّسة؛ لأنها تمنح القوة والطاقة للحاج والشفاء من المرض، مثل: الصليب المقدَّس، والمسامير المقدَّسة، وحليب العذراء، وملابس دفن المسيح (Hosta and Limon 2010 Vol. 22: 196).

رابعًا: أن يعتبر الحج كالنص المقدَّس بناءً على ما ورد من نصوص في الإنجيل، تذكر المواقع الدينية التي زارها السيد المسيح. (Bowie 2006: 248)

خامسًا: أن تكون الرغبة في الحج روحانية وليست مادية فقط؛ من أجل الفوز بالجنة. (Bowie 2006: 249)

أما بعض الباحثين فلهم وجهة نظر مختلفة فيما يتعلق بالحج المسيحي حاليًا، فهم يرون أن الحج التقليدي الذي كان في الماضي والمرتبط بزيارة الأماكن المقدَّسة المعروفة والصلاة فيها وممارسة الطقوس الدينية المتعلقة بالحج قد اختلفت الآن، فالحج أصبح مرتبطًا بما يُعرف "بالسياحة الدينية" التي تتعلق بزيارة مواقع جديدة لتعرُّف ثقافات الشعوب الأخرى .(Wiśniewski 2018 vol. 31: 199-200)، فالحج لم يعد يقتصر على زيارة المباني الدينية المقدَّسة التقليدية مثل الكنائس والأديرة، بل تعداها إلى زيارة أماكن دينية مختلفة، فالمسيحية في البداية كانت تهتم بالحج إلى المواقع التي اختارها الرب للحجاج أما الآن فقد أصبحت ترغب في الربط ما بين هو ديني وسياحي وثقافي وتراثي واقتصادي أيضًا؛ مما سيسهم في زيادة أعداد الحجاج للمزارات الدينية المقدَّسة والمشهورة، مثل: مزار "سانت ديغو دي

1314م)، وكان الغرض منه إلغاء طغمة (جماعة) الهيكليين؛ حيث اشتهرت هذه الجماعة بالغنى والثراء الفاحش الأمر الذي دفع الملك فليب إلى الاستيلاء على أموالهم، ومن المعروف أن هنالك ثلاث طغمات؛ أي (جماعات)، من الفرسان لخدمة الزائرين للأراضي المقدَّسة، هم: ضغمة القديس يوحنا، وطغمة الهيكليين، وضغمة الفرسان الجرمانيين، ولقد بدأت هذه الطغمات بداية حسنة ولكنها سرعان ما انحرفت وأصبح أتباعُها يجحدون الإيمان ويعبدون الأوثان وينكرون المسيح ويتغلون على الصليب ويتمرَّغون في النجاسة، وارتبط مجمع فينا الكنسي بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية وبدأ البابوات ينشؤون الرهبنات لبث الدعوة الدينية في الشرق.

كوميو ستيلا" (Santiago de Compostela) [2] في إسبانيا (Santiago de Compostela) ومزار السيدة فاطمة[3]. (أبو الخير 2004: 33–36)، (The Story of the Shrine of Fatima in Portugal.) https://www.getours.com في البرتغال (Shrine of Fatima)، وهذا سينعكس بدوره على الوضع الاقتصادي لهذه المزارات من زيادة في تبرعات الحجاج والسياح؛ لذا سيؤثر في زيادة المردود المالي للمزارات حتى تستمر في عملها، إنها تجربة فريدة للحاج للتواصل مع الرب وهذا ما تشجِّع عليه الكنيسة الآن (Wiśniewski 2018: 199-200.)، وأيضًا فرصة مناسبة في نظر الكنيسة لزيارة المزارات الدينية من أجل أن يجتمع الحاج مع السائح، وأن يجتمع المؤمنون مع غير المؤمنين في مكان واحد "إنه المكان الذي يقدم الرعاية، وكرم الضيافة، والفن، والعمارة، والموسيقى، والأعمال الخيرية للجميع (Wiśniewski 2018: 215).

فالحجاج الآن والسياح أيضًا على بعد 2000 سنة من حياة المسيح ومن الأماكن التي زارها ومكث فيها، "فالحج المسيحي الآن إحياء للماضي وإحياء لمسار المسيح للوصول إلى الجنة بسرعة" (Kassis 2016: 10)، وهذا ما أكده "يوحنا بولس الثاني"[4] (John Paul II) (https://www.catholic-hierachy.org/bishop/bowojtyla.html.) في موعظته الموجهة للمؤمنين المسيحيين الذين يستعدون للاحتفال باليوبيل العظيم، عندما قال: "بعد سنوات من التحضير وجدنا أنفسنا على أعتاب اليوبيل الكبير، وقد جرى عمل الكثير خلال هذه السنوات في جميع أنحاء الكنيسة للتخطيط لهذا الحدث المهم كما في المرحلة الأخيرة من الاستعداد للرحلة، وقد حان الوقت لوضع اللمسات الأخيرة لليوبيل الكبير ليس بمجرد سلسلة من الوظائف التي يجب القيام بها بل لأنه تجربة داخلية رائعة يجب عيشها" (يوحنا بولس بولس الثاني: 1). ويتابع قائلًا: "إن اقتراب اليوبيل الآن يدفعني إلى تقديم بعض الأفكار المتعلقة برغبتي –إن شاء الله– في القيام برحلة خاصة لزيارة بعض الأماكن التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بنصوص الإنجيل؛ فالكتاب المقدَّس يقدم رسالته الخاصة فيما يتعلق "بالفضاء المقدَّس" الي تصل ذروته في المسيح الذي يحل فيه ملء اللاهوت مع مجيئه. فالعبادة الآن تتجاوز المباني الدينية والمزارات لتصبح عبادة "بالروح والحق"؛ لأن الروح القدس يسكن كل واحد منا، بهذه الروح –إن شاء الله– اعتزم بمناسبة اليوبيل الكبير لعام 2000م متابعة آثار تاريخ الخلاص في الأرض التي حدث فيها (يوحنا بولس الثاني 2000: 1–5؛ أبو الخير 2004: 11).

ويؤكد بولس الثاني يوحنا أن لمسارات السفر معانيَ كثيرة لدى المسيحيين وأن سنة اليوبيل تقوم على الاحتفال

---

[2] في عام 813م جرى اكتشاف قبر القديس جيمس (Saint James)، الذي استشهد في القدس عام 44م، ونقل رفاته إلى إسبانيا، إن هذا الاكتشاف ساعد في تعرُّف المسيحية في إسبانيا من خلال الطريق المؤدي إلى شبه الجزيرة الآيبيرية، وفي فترة العصور الوسطى أصبحت مدينة سانت ديغو أهم مكان للمسيحيين الكاثوليكيين ليحجوا إليه بعد القدس وروما، وفي عام 1078م أمر ألفونسوا السادس (Alfonso III, 1040-1109) ملك ليون وقشتالة ببناء كاتدرائية في الطرف الشرقي للمدينة، في عام 1985م أعلنت اليونسكو المدينة موقعًا للتراث العالمي.

[3] ضريح أو مزار فاطمة يعتبر من أهم المعالم الدينية في البرتغال، وهو لم يكن معروفًا حتى سنة 1917م، عندما شاهد ثلاثة أطفال صغار السيِّدة الوردية وهي تتألق مثل أشعة الشمس، ولقد تنبَّأت هذه السيِّدة بنهاية الحرب العالمية الأولى، كما تنبَّأت ببناء كنيسة صغيرة على شرفها، وفي 13 أكتوبر 1917م ظهرت السيدة مريم العذراء للناس. من أهم المباني في موقع مزار السيِّدة فاطمة كنيسة الظهورات، ويقع في وسطها تمثال للسيِّدة مريم العذراء، ويزور الموقع حوالي ستة ملايين زائر سنويًّا.

[4] يوحنا بولس الثاني، هو بابا الكنيسة الكاثوليكية الرابع والستون بعد المئتين منذ 16 أكتوبر تشرين الأول 1978 وحتى وفاته في 2 إبريل (نيسان) 2005م.

الرسمي بتجسد الكلمة التي تجذب المسيحيين إلى الأماكن التي عاش فيها السيد المسيح، فهو يرغب في زيارة أور الكلدانية ودير سانت كاترين في سيناء، فالناصرة، وبيت لحم، وجبل التجلي، وجبل نيبو في الأردن. (يوحنا بولس الثاني 2000: 5–6)، ويؤكد أن الاحتفال باليوبيل سيكون في وقت واحد في الأرض المقدَّسة في روما وفي جميع الكنائس المحلية في جميع أنحاء العالم. (يوحنا بولس الثاني 2000: 8).

إذن، للحج المسيحي مكانة خاصة لدى الفاتيكان والبابا والمسيحيين المؤمنين بقداسة الحج وأهميته، إنها معجزة الحج ومعجزة السيِّد المسيح في الماضي والحاضر والمستقبل.

والسؤال هنا: هل سيعود الحج بفائدة ما على الحاج المسيحي الآن؟ يجيب عن هذا السؤال "ماسترز بيتر" (Peter Masters)؛ فقد كتب عن ست فوائد تساعد الحجاج على القيام برحلة الحج، هي كما يلي. (Masters 2014 Issue 1: 3-6).

أولًا: فائدة الجماعة؛ إذ إن التواجد مع جماعة من المؤمنين في داخل الكنيسة يحبون المسيح "تشعرنا بالراحة والسلام" بغض النظر عن العرق أو الجنس أو اللون أو الطبقة الاجتماعية.

ثانيًا: فائدة الخبرة؛ فعلى الحاج الآن أن يستفيد من خبرة من سبقوه من الحجاج الذين خاضوا تجربة الحج منذ قرون طويلة وتحملوا مشقة السفر ومتاعبه وأكملوا رحلتهم وهم في سعادة بالغة، وقد عبروا عنها خلال كتاباتهم التي تصف رحلتهم للأراضي المقدَّسة.

ثالثًا: فائدة الأمن والأمان؛ ويحتاجها الحاج الآن من الربِّ يسوع المسيح الذي راقب خطوات شعبه من أجل إنقاذهم من السقوط في الخطيئة؛ حتى لا ينسى المؤمنون على مر العصور أنهم في حماية الرب محفوظين بقوة الله.

رابعًا: فائدة الشعور بروح المسيح؛ لأنه الضمير الحي للحاج، إنه مصدر قوة المؤمنين في الماضي وفي الحاضر، فالروح القدس هي التي تحرك الحاج المؤمن بالابتعاد عن الآثام بتجنب الخطيئة عن طريق الصلاة وقراءة الكتاب المقدَّس.

خامسًا: العناية الإلهية وكيفية الاستفادة منها من خلال العمل الصالح والتوبة والإيمان، وهذه تأتي من رحلة الحاج المؤمن الروحانية التي يقوده فيها المسيح، فهو يمنح عنايته لهؤلاء المؤمنين من الناس، إنه الملهم لهم في هذه الرحلة الدينية المقدَّسة.

سادسًا: على الحاج الاستفادة من نعمة أخرى، نعمة خاصة تتعلق بالراحة والسعادة والهدوء والبركة من خلال التواصل مع الآخرين في أثناء السفر؛ لأنهم عائلة الحاج الروحانية الذين يتحلون بصفات النبل والأخلاق، وهم مصدر بهجة الحاج كما هو المسيح مصدر تشجيع وقوة الحاج الذي يرفع من معنوياته في رحلة شاقة طويلة "إنه عمل المسيح الذي لا يفشل".

إن الحج المسيحي للأماكن المقدَّسة والطقوس الدينية التي يمارسها الحاج الآن أو مارسها في الماضي توضح أهمية التجربة الدينية التي خاضها الحاج، سواء كانت تجربة فردية أو جماعية، وتوضح أيضًا التفاعل والاندماج النصي والشفهي والبصري بين حجاج أوروبا والأماكن المقدَّسة ومواقع القديسين والشهداء إضافة إلى مشاعر الحجاج الغربيين تجاه ساكني القرى والمدن المحليين، وأفضل مثال على هذه العلاقة ما ذكره أحد الباحثين ويدعى "بال أنتوني" (Anthony Bale) في بحثه عن التفاعل الديني في القدس إبان القرون الوسطى، وهل هو تنافس ديني أم تفاعل عالمي بين المجتمعات المسيحية الغربية وردود فعل الحجاج اللاتين الغربيين القادمين إلى الأراضي المقدَّسة تجاه

المجتمعات المسيحية الشرقية بعد الحروب الصليبية، وكيف استطاع الفرنسيسكان[5](Ritsema Van (Franciscan) Eck 2017: 1-9).تنظيم أنفسهم في القدس منذ عام 1272م، وأصبحوا هم المسؤولين عن حماية المقدَّسات الدينية؛ إذ أنشأوا سفارة لاتينية في أثناء حكم المماليك عام 1333م، وتدعى "حراسة الأراضي المقدَّسة" (Custody of the Holy Land). (Bale 2017: No. 9. 17-19).

لقد كان الحجاج اللاتين يسافرون إلى الأراضي المقدَّسة "كشاهد ديني على الحدث المقدَّس بدلًا من باحث متخصص في علم الإنسان" (Bale 2017: No. 9, 17-19, Ritsema Van Eck 2017, 1-9)، إن اهتمام الحجاج اللاتين في زيارة المجتمعات المحلية كان محدودًا، كانت رغبتهم الاستراحة في محطات الفرنسيسكان في الأيام الأولى من حجهم للأراضي المقدَّسة، الذين بدورهم كانوا يقتادون الحجاج إلى القدس وزيارة كنيسة القبر المقدَّس، ثم التوجه إلى نهر الأردن وزيارة مواقع دينية فيه، مثل "بيثاني" (Bethany) (عين كارم)، ومع الأسف كانوا يمكثون لبعض الوقت دون الاستفادة من روحانية المكان. (Bale 2017: 19).

إن لتخليد ذكرى أحداث الإنجيل في أماكن محددة "بُعدًا سياسيًّا مشروطًا باكتشاف المكان التقليدي المقدَّس لدى الحجاج المسيحيين وليس بالنواحي الجغرافية أو الأثرية أو التاريخية؛ لأن المعتقدات الدينية والاجتماعية والمتغيرات التي قد تطرأ هنا وهناك في الأراضي المقدَّسة تعتمد على إعادة بناء الماضي مرة أخرى وإحيائه من جديد. (Halbwachs 1971: 125; Bale 2017: 22).

ثالثًا- الحج المسيحي والرموز الدينية:

الكثير من الأسئلة التي تدور في ذهن الحجاج، سواء في الماضي أو الحاضر، تتعلق بالصليب، وبماهية الصليب، ومم صنع؟ ومن أين أتى؟ إن القناعة الشخصية لدى الحجاج تتعلق بقوة الصليب الذي شهد دماء السيد المسيح وعرق، ومن يلمس أيَّ جزء منه فإنه سيذهب للجنة مباشرة؛ لأن الصليب سيظهر يوم الحساب (Bale 2017: 22)، لقد بينت الكثير من الروايات الدينية التي تتعلق بالصليب منذ اكتشاف الإمبراطورة القديسة هيلينا له (250-330م) (Helena).[6] " (Wace 1911: 702-707) وبنائها لكنيسة القبر المقدَّس[7] (بطريركية الروم الأورشليمية: www.jerusalempatriarchate.info)

---

[5] الفرنسيسكان: هم حراس الأرض المقدَّسة، وهي رهبنة دولية تأسست على يد الأب فرانسيس منذ أكثر من 800 سنة في زمن حكم المماليك عام 1219م، يبلغ عددهم حوالي 300 راهب في فلسطين، يملكون كل الأراضي التابعة لمدينة القدس والكنائس المقامة عليها، مثل: كنيسة القيامة والمهد والبشارة في الناصرة، يتبعون البابا عقائديًا ويمثلون الفاتيكان في الأراضي المقدَّسة، إنها قصة الفرنسيسكان كما رواها الأب إبراهيم فلتس.

[6] الإمبراطورة هيلينا (250– 330م)، والدةُ الإمبراطور (قسطنطين العظيم) (Constantius the Great)، اعتنقتِ المسيحيّة في أواخر عام 318م، وحصلتْ على لقب أوجستا "القدّيسة"، وهي زوجة الإمبراطور (قسطنطيوس كلوروس (Constantius Chlorus) (250–306م). وأوّل سيّدة بنتْ مركزَ رعايةٍ لكبار السّنّ في القسطنطينيّة. حجّتْ إلى فلسطين حوالي 325م، وقد ارتبط اسمُها بعثورها على موقعِ الجلجثةِ المكانِ الذي وُجِدَتْ فيه آثارُ صلب المسيح.

[7] القبر المقدَّس: يقع في قلب كنيسة القيامة، وقد أصبح فارغا بعد قيامة السيد المسيح، ويعتبر القبر المقدَّس "المحج الرئيس لكنيسة القيامة"، وفي عام 1808م شب حريق كبير في المكان؛ مما أثر في التصميم المعماري للقبر، وحسب ما ورد في الإنجيل فالقبر المقدَّس كان منحوتًا بالصخر بعدما عثرت عليه الإمبراطورة هيلينا، وكانت تزين القبر مجموعة من الأعمدة، ولقد وصفته الحاجة إيجيريا في أثناء زيارتها للأراضي المقدَّسة ما بين عام 381 – 384م بأنه "موجود داخل بناء آخر من أجل حمايته".

في المكان الذي عثرت فيه على الصليب؛ إذ ساد اعتقاد في القرن الثاني عشر الميلادي أن "مدينة القدس ليست فقط المدينة التي توفي فيها المسيح، وإنما أيضًا مدينة ولادة حياة المسيح نفسه، (Schein 2005: 66-67) فحجاج القرون الوسطى كانوا يشعرون بالتواصل مع السيد المسيح مع معاناة المسيح وآلامه من خلال تمثيلهم لهذه المعاناة في احتفالية دينية في كنيسة القبر المقدَّس. (Baert 2004: 67-75).

فالمسيح بالنسبة إلى الحجاج مركز الديانة المسيحية، إنه الأساس في الإيمان المسيحي؛ لذا هو ركيزة مهمة في الحج المسيحي، لقد أدى دورًا مهمًّا في أثناء وجوده في جبل الزيتون، في القدس، وفي بيت لحم مكان ولادته؛ لذا فإن الحجاج القادمين إلى الأراضي المقدَّسة لا يعنيهم الذهاب إلى "جبل صهيون"[8] (Mount Zion) (مجموعة مؤلفين 1995: 382)، بل ما يهمهم منذ قرون مضت إلى الآن هو الذهاب إلى كنيسة القبر المقدَّس التي شهدت وفاة المسيح وقيامته مرة أخرى (Ryan 2013: 4-5). إن مشقة السفر في الماضي والحج إلى الأراضي المقدَّسة تنعكس على أداء الحجاج المسيحيين في الوقت الحاضر في أثناء حجِّهم إلى مزارات وأماكن دينية متعددة (Ryan 2013: 4).

إن حجاج القرون الوسطى، كما يذكر أنتوني بال (Anthony Bale)، كانوا يصفون ويكتبون عن كل دير وكنيسة وعن كل طريق سار فيه المسيح في الأراضي المقدَّسة بأنه موقع ديني مقدَّس، فعلى سبيل المثال لا الحصر وصفه أحد الحجاج ويدعى "ثيودورك" (Theodoric) في أثناء وجوده في القدس عام 1172م، عندما وقف أمام شجرة يعتقد أن خشب الصليب مصنوع منها، قائلًا: "أقف أمام يدي الرب يسوع المسيح وأُمّه الطاهرة، أمام المذبح المقدَّس في مكان الصليب الذي احتضنه وأتعلَّق به، فهو خلاصنا الأبدي (Bale 2017: No. 9, 2-7).

لقد كان حجاج القرون الوسطى يسافرون إلى الأراضي المقدَّسة ليس فقط كمؤمنين عابدين وإنما أيضًا كقراء للمشهد الديني، لديهم بصمتهم الواضحة في وصف كل ما يشاهدونه، فاتصفت كتاباتهم بالجاذبية وبتوضيح كل ما هو غامض وخفي تفسيره، فقد ساهمت قصصهم في تحرك الحجاج بكل سهولة ويسر في الأراضي المقدَّسة(Bale 2017: 31).

إن ثقافة الحج المسيحي تقدم تحدِّيًا متعدِّد الأوجه فيما يتعلَّق بالسرد القصصي الخاص بالحجاج الغربيين المتفاعلين مع المواقع المسيحية في الأراضي المقدَّسة.

لم يكن حج القرون الوسطى تنافسيًّا أو عالميًّا كما يذكر "بال أنتوني"، فمن وجهة نظره كان الحج قائمًا على القصص والروايات التي كتبها الحجاج؛ إذ تعبِّرُ عن تجربة الحاج الشخصية والدينية، إنه أدب المقارنة المرتبط بالمكان والقصة والحدث الديني الذي ما زال مستمرًا للوقت الحاضر (Bale 2017: No. 9, 33.)

"إن جذور الحج متأصلة في النفس البشرية والرغبة في السفر مارسها المسيحيون عبر قرون عديدة، فهم يتطلعون إلى لقاء الرب في رحلة دينية مقدَّسة مليئة بالمخاطر"، هذا ما كتبه أحد الباحثين المسيحيين ويدعى "جورج كريستيان" (Christian T. George) عندما تحدث عن الحج، وكيف أن والديه أطلقوا عليه اسم "الحاج كريستيان"[9] (A Christian Pilgrim) قائلًا: "إنه سافر لسنوات عديدة حول العالم ليرى كيف أن الرب قد أنجز وصيته في نفوس

[8] صهيون: اسم عبري معناه الحصن، "وهو رابية من الروابي التي تقوم عليها أورشليم" ورد ذكرها للمرة الأولى في العهد القديم كموقع لحصن يبوسي، ويرد تعريف جبل صهيون في العقد القديم ما بين مائة مرة ومائتين، وكثيرًا ما يطلق اسم صهيون على أورشليم كلها، كما ورد في سفر المزامير (2:48)، جميل الارتفاع، فرح كل الأرض، جبل صهيون، فرح أقاصي الشمال، مدينة الملك العظيم.

[9] هو أستاذ مساعد لعلم اللاهوت والتاريخ، في مكتبة "سيرجون" (Spurgeon Library) التابعة لكلية سيرجون مركز اللاهوت العام في مدينة كنساس ولاية ميسوري الأمريكية.

الرجال والنساء الذين أمنوا بصدق هؤلاء الحجاج الذين صنعوا الماضي، ليكون الحاضر في ألمانيا، واليونان، وإيطاليًا، وغيرها من البلدان، لقد رأيت القديسين الفرنسيسكان يصومون ويصلون في أحد الأديرة في إيطاليًا، ورأيت الرهبان يعلمون الأطفال القراءة والكتابة في دير بنتيلي (Penteli) في اليونان (George 2016: 19).

ويتابع قائلًا: "كوني حاجًّا كان عليَّ أن أرسم صورة للرب من ثلاثة أبعاد، لقد علمتني تجربة السفر كيف أبني علاقة مع المسيح لأتغلب على العقبات والمصاعب، ولتقوية إيماني، والفوز في معركة الحياة، لقد أوضحت رحلتي لي أن التطلع إلى المستقبل يأتي بإحياء الماضي" (George 2016: 19).

ويستشهد بمقولة لـ" إدوارد، جوناثان" (1703-1758) (Edwards 1995 Vol. 2, 687) من كتابه "الحاج المسيحي 1733م (The Christian Pilgrim) يصف فيها كحاج صعوبة الوصول إلى طريق الجنة، قائلًا: "إن الطريق إلى الجنة في تصاعد مثل تسلق أعلى التل بالرغم من مشقته، يجب أن نتبع طرق المسيح لأنه الطريق الصحيح إلى الجنة، إنه طريق القداسة" (Edwards 1995 Vol. 2: 23).

ثم يتحدث (جورج، كريستيان) عن حظوظ الجيل الحالي التي لم يشهد لها التاريخ من قبل بسبب التطور التكنولوجي الذي سمح باختصار المسافات بين القارات، "فبينما كانت الرحلة في الماضي تستغرق أشهرًا عبر الأطلنطي أصبحت الآن مجرد ساعات؛ مما ساهم في إعادة إحياء الحج مرة أخرى في القرن الواحد والعشرين الميلادي، إنها لفرصة عظيمة للحاج الآن في الوصول إلى أماكن مقدَّسة والتواصل مع مسيحيين آخرين من أجل توحيد القواسم المشتركة بينهم والمتعلقة بالدين والعادات والتقاليد، إنها الدعوة إلى زيادة الوحدة والتعاون المسيحي بين الطوائف والكنائس المسيحية (George 2016: 23).

ويتابع قائلًا: "نحن نعيش في عصر الترفيه، فكلمات مثل "الصبر" و"الالتزام" و"الثبات" تبدو غريبة لنا، كل ما حولنا يدل على السرعة؛ الإنترنت، والوجبات السريعة، وإعداد الطعام، وغسل الملابس وتجفيفها بكبسة زر، وغيرها من الأمور التي نواجهها كل يوم، إنه صراع البقاء، يجب علينا كحجاج أن نقلل من وتيرة الضغط، وهذا سباق محموم بسبب التطور والتقدم العلمي، علينا أن نلتزم الهدوء والسكينة كما كان حجاج الماضي، علينا أن نثق بالرب، أن نؤمن به، أن نلتزم بتعاليم المسيحية من أجل حياة روحانية ينعم بها الجميع بدءًا من صاحب العمل إلى الأطفال، إلى طلاب الكليات والجامعات، لا بد أن نركز اليوم على رسم صورة مادية روحانية في عقول الأطفال تصف الجنة لهم".

ويتابع قائلًا: لقد سمحت لنا التكنولوجيا بالتنقل والسفر بحرية حول العالم، فالكثير من الشباب يسافرون الآن لزيارة قلاع قديمة وكاتدرائيات عتيقة، لكن ماذا عن المرضى، وكبار السن، والفقراء غير القادرين على السفر، هل يمارسون الحج؟ "نعم يستطيعون، فالحج لا يقتصر على موقع ما؛ لأن الرب موجود في كل مكان طالما آمنا به بحب وأنه مرشدنا في رحلتنا" (George 2016: 23-25).

ثم يتحدث "جورج، كريستيان" عن تجربته في الحج من جانب روحاني عندما كان مريضًا في أحد المستشفيات قائلًا: "في منتصف الليل قرأت الإنجيل، وسافرت إلى أريحا حيث الأسوار المتداعية، وكحاج مُقْعد سافرت إلى مصر، وشاهدت البحر الأحمر عندما عبر الربُّ من خلاله؛ لأن الرب ظاهر في كل مكان إلى آخر الكون، فالرحلة بالنسبة لي أفضل من السفر إلى أوروبا وآسيا، لشخص مثلي يفضل العزلة والهدوء في مكان ما مع شرب فنجان قهوة صباحي، فالحج ممارسة علينا تقديرها في كل مكان وزمان ومع أي شخص، فالحج يروي عطشنا ويشبع جوعنا عن طريق الإيمان بالمسيحية، والإيمان بكل ما هو مقدَّس، فالرب مهد لنا الطريق بتنظيم سلوكنا، وأفكارنا وحياتنا، وطريقة معيشتنا بأنفسنا

من دير إلى آخر، من موقع حج إلى آخر حتى نقف بين يديه. (George 2016: 26).

إن رحلة الحاج كريستيان في القرن الواحد والعشرين الميلادي ونظرته الدينية اللاهوتية للحج المسيحي تشابه إلى حد كبير رحلة المستشرقين الأجانب الذين زاروا بلادنا في القرون الماضية، سواءً كانوا رحالة أو حجاجًا مكثوا فيها فترة من الزمن وتحدثوا من خلال كتاباتهم عن طبيعة المدن والقرى وسكانها والمباني الدينية والخانات التي أقاموا فيها، إضافة إلى الأدلاء والمرشدين الذين رافقوهم في رحلتهم.

من الذين كتبوا عن تجربتهم الدينية الروحية في الحج في القرن السابع عشر الميلادي ، "بنيان، جون" (1628م–1688م) (John Bunyan) الكاتب والواعظ الإنجليزي الذي اشتهر بكتابه "رحلة الحاج" أو "السائح المسيحي" أو ما يُعرف بـ" سياحة المسيحي" (The Pilgrim's Progress) يعد كتابه مصدرًا دينيًّا مهمًّا بعد الأناجيل الأربعة؛ إذ كتبه وهو في السجن ما بين أعوام (1678م–1684م) (بنيان 1984: 4–9)، فهو يصف رحلته الروحانية إلى الأراضي المقدَّسة من خلال حوار تمثيلي ما بين رجل يدعى "المسيحي" الباحث عن الغفران من خطاياه والهارب من عالم الآثام إلى عالم الاستقامة (بنيان 1844: 9)، ومجموعة من الأشخاص الذين قابلهم في رحلته، مثل "الإنجيلي" الرجل الحكيم (بنيان 1844: 45)، و"الناموس" صاحب العقل الراجح (بنيان 1844: 14، 21، 27، 32–33)، والحكيم (بنيان 1844: 29)، وبالرغم من كون رحلة "بنيان" غير مرئية (بنيان 1844: 31)، إلا أنه استطاع أن يسردها ببراعة من خلال ذكره للأماكن والمواقع الدينية الواردة في الكتاب المقدَّس، فعلى سبيل المثال لا الحصر، وصف رحلة "المسيحي" إلى منطقة البحر الميت مع شخص يدعى "الرّاجى" بأنه "يوجد عمود الملح الذي استحالت إليه امرأة لوط لأجل التفاتها إلى الخلف بقلب رغيب عندما خرجت من سادوم" (بنيان 1844: 215)، ولقد علق المسيحي قائلًا: "فلنعتبر إذا ما رأيناه هنا ليكون لنا عونًا في ما يأتي" (بنيان 1844: 216)، ويتابع قائلًا: "ثم رأيتهما قد جَدا في طريقهما حتى وصلا إلى نهر عظيم دعاه داوود الملك "نهر الله" ودعاه يوحنا "نهر ماء الحياة" (بنيان 1844: 218)، وكانت طريقهما على جانب ذلك النهر، فمشيا بابتهاج عظيم، وشربا من مائه الشهي الذي يروي ظمأ الأنفس، وكان على جانبيه أشجار خضر حافلة بالثمار المختلفة، وعليها ورق يشفي من جميع الأمراض التي تعرَّض لها من وعكة السفر، وهناك أيضًا روضة مكللة بالسوسن البهيج لا تذبل على توالي الفصول، فأتيا في تلك الروضة لأنهما يستطيعان أن يستريحا فيها بالأمان، ولما استيقظا نهضا يجنيان من تلك الثمار اللذيذة ويشربان من ذلك الماء العذب، وطاب لهما ذلك المكان، فأقاما فيه أيامًا يشكران الله، ويتناشدان الأشعار قائلين: "قفوا انظروا يا قوم كيف تجري كفضة مياه هذا النهر، فهي تسلي سائحًا من الفقر رواية ظمأه وقت الحر" (بنيان 1844: 218–219).

يلاحظ من الرواية كيف تأثر "بنيان" برحلة السيد المسيح إلى نهر الأردن والعماد على يد يوحنا المعمدان، فهي بالنسبة له رحلة الاستقامة، فالنهر عنده كناية عن "حب الله" للمؤمنين الصادقين، وأن "مدينة الله" كناية عن البركة والمغفرة والرحمة وأن القناة التي تجري فيها الينابيع كناية عن المسيح المخلص، أما الينابيع فهي كناية عن بركات الرب يسوع الروحية للمؤمنين به (بنيان 1844: 218–219).

يعبر الكتاب عن نظرة مؤرخ ديني مستشرق تحدث من خلاله عن رحلة الحج المسيحي من منظور ديني مقدَّس يمكن الاستفادة منه بِوَصفِهِ دليلًا إرشاديًّا دينيًّا وسياحيًّا أيضًا في وقتنا الحاضر، وبالرغم من قدم النسخة وأسلوب الكتابة والعبارات التي استخدمها المؤلف فإنه يستحق القراءة والدراسة بعمق من قبل الباحثين والمؤرِّخين وأيضًا الحجاج الراغبين في الحصول على رحلة إيمانية مقدَّسة للأراضي المقدَّسة ولنهر الأردن.

ومن الرحالة الذين زاروا فلسطين وشرق الأردن في القرن التاسع عشر الميلادي "توين، مارك"[10] (1835–1910م Mark Twain)؛ إذ كتب عن رحلته التي قام بها من الولايات المتحدة الأمريكية وصولًا إلى الأرض المقدَّسة مع مجموعة من الحجاج المسيحيين بأسلوب فكاهي فيه تأثيرات دينية تاريخية مع انتقاد واضح لأدلاء الرحلة، ولثقافة وعادات المجتمعات التي زارها، وللأماكن التي مكث فيها (توين 2013: 591)، ويعد كتابه "الأبرياء في الخارج" (Innocents Abroad) أو "حجاج الأرض المقدَّسة" (The Pilgrims of the Holy Land) من أكثر الكتب مبيعًا في تلك الفترة؛ لأنه تناول رحلته بأسلوب نثري ساخر، إضافة لكونه دليلًا إرشاديًّا لمن رغب أو يرغب في القيام برحلة بحرية وبرية إلى الأراضي المقدَّسة (Arapoglou 2008: No. 6, 101).

تناول الباحثان بعضًا من مقتطفات رحلته إلى الأراضي المقدَّسة قائلًا: "هبطنا من جبل "طابور"[11] (الفرنسيسكاني، 2021: .https://www.abauna.org)، واجتزنا هذه الجدارية، وسلكنا طريقًا وعرًا أشد انحدارًا يؤدي إلى الناصرة التي تبعد عنا قدر ساعتين (مجموعة مؤلفين 1995: https://www.wodinaorg)، كانت رحلة مملَّة على ظهور الجياد، تسبَّبت في إنهاكها، نصبنا الخيام عند بستان زيتون قريب من نبع مريم العذراء، وجاء ذاك الحارس العربي العجيب لجمع البقشيش لقاء خدماته عن مرافقتنا من طبرية وعن درنه ما خفي عنا من أخطار بأسلحته الرهيبة (توين 2013: 497–478)، ثم يتابع وصف رحلته كما يأتي: "دخلنا دير اللاتين الكاثوليك الكبير المقام فوق ما يُعرف في الروايات الدينية القديمة بيت العائلة خمس عشرة درجة تحت سطح الأرض وتوقفنا عند كنيسة صغيرة مزينة باللوحات المطرزة، بالنسيج والمصابيح الفضية واللوحات الزيتية، أشير من موضع في الأرضية الرخامية عليه صليب وضع أسفل مذبح الكنيسة إلى المكان الذي جعله (قدر)(*)، العذراء موضعًا مقدَّسا، ووقفت عنده لتلقي بشارة الملاك، كم بدا مكانًا على هذا النحو من البساطة والتواضع شاهدًا على الحدث الكبير، إنه المكان الذي شهد البشارة التي حملها الملاك إلى السيدة العذراء، وهو حدث راسخ في الذاكرة (توين 2013: 480).

ثم تحدث عن الرهبان اللاتين الذين اصطحبوه هو والحجاج إلى "مغارة البشارة" التي مكثت فيها "السيدة العذراء مع يوسف النجار[12]. (مجموعة مؤلفين 1995: 743)، وهما ينظران إلى السيد المسيح وهو يلعب بالدمى عندما كان طفلًا (توين 2013: 480)، ويتابع حديثه عن الكهوف واصفًا إياها "بالسكينة والسعة والطهر"، إنها المكان الذي عاشت فيه

[10] مارك، توين، أو "ساموريل لانجهورن كليمنز" (Samuel, Langhorne Clemens) المولود في ولاية فلوريدا الأمريكية من أشهر الروائيين الأمريكيين، وعُرِفَ عنه بأنه رائد الأدب الأمريكي، له مؤلفات مثل "الأبرياء في الخارج" (The Innocents Abroad وكتبه عام 1869م) هلبكبري فن "The Adventures of Huckleberry Finn" وكتبه عام 1884م وكتاب "مغامرات توم سوير" "Tom Sawyer" وكتبه عام 1876م، امتازت أعماله بأسلوب أدبي ساخر.

[11] جبل طابور أو جبل الطور كلمة يونانية تلفظ "تابور" أو "ثافور" وتعني المكان المرتفع، وردت تسمية جبل طابور في العهد القديم في سفر المزامير، المزمار التاسع والثمانون "الشمال والجنوب أنت خلقتهما تابور وحرمون باسمك يهتفان" أما في العهد الجديد فلم يذكر الجبل باسم طابور وإنما "الجبل المقدَّس" أو "الجبل العالي" كما ورد في إنجيل متى (17: 1–9) وبعد ستة أيام مضى يسوع ببطرس ويعقوب وأخوه يوحنا، فانفرد بهم على جبل عالٍ، وتجلى بمرأى منهم، فأشع وجهه كالشمس وتلألأت ثيابه كالنور".

(*) كما وردت في ترجمة المؤلف.

[12] يوسف النجار القديس يوسف النجار خطيب السيدة مريم العذراء، وهو اسم عبري ومعناه "يزيد" وهو من بيت داود من بيت لحم، هاجر إلى الناصرة وحارس ميتا مهنة النجارة، ولقد كان يوسف "عبرانيًّا محافظًا على الفروض والطقوس اليهودية وعلى الأعياد الصهيونية وقد اتصف بالرقة والشهامة".

العائلة المقدَّسة سواءً في الناصرة أو بيت لحم، ويتساءل: لماذا لم يفكر أحد في تلك الفكرة بأن يحذو حذو العائلة المقدَّسة. (توين 2013: 479)، ويبدي "توين مارك" إعجابه الشديد بالكهوف المنحوتة في الصخر لكونها شاهدًا على حدث ديني مهم وهو يشكر المسيحيين الكاثوليك لبنائهم كنيسة ضخمة على الكهف الوارد ذكره سابقًا ليكون مزارًا ومحجًا للأجيال القادمة (توين 2013: 480)، بعد ذلك يذكر بأنه والحجاج المسافرين في هذه الرحلة قد زاروا "المواقع التي عمل بها يسوع بمهنة النجارة لمدة خمسة عشرة عامًا"، واكتشاف الرهبان الصخرة التي جلس عليها الحواريون ليستريحوا (توين 2013: 480–481)، إضافة إلى رؤيته لنبع العذراء التي اعتادت السيدة مريم السقاية منه عشرين مرة في اليوم وهي ما تزال عذراء (توين 2013: 481)، ويصف "توين مارك" حماس أحد الحجاج عند رؤيته لحسناء جميلة بالقرب من النبع قائلًا: "تطلعوا إلى تلك الهيفاء الرشيقة يا له من وجه ملائكي رائع الحسن شبيه بوجه العذراء" (توين 2013: 482).

وفي أثناء زيارته لمدينة القدس تحدث عن رؤيته للمكان الذي ظهر منه السيد المسيح (مجموعة مؤلفين 1995: 580–661؛ لاغرانج 1928: 146–147)، بعد بعثه من الموت وهو مبنى كان الرهبان الإيطاليون يمارسون طقوسهم الدينية حول لوح زيتي رخامي أبيض اللون موجود في نفس المكان الذي عثرت فيه القديسة الإمبراطورة "هيلينا" على الصلبان الثلاثة قبل ثلاثة قرون. (توين 2013: 508).

ثم أبدى إعجابه بكنيسة القبر المقدَّس، وما قامت به القديسة الإمبراطورة "هيلينا" التي كانت تتابع العمل الشاق في بناء الكنيسة وهي تجلس على مقعد رخامي للإشراف على العمال والبنائين. (توين 2013: 513)، بعدها تحدث عن الرهبان القادمين على كنيسة القبر المقدَّس وهم يرتلون المزامير وعيونهم باكية للمخلص "السيد المسيح"، وأيضًا عن الحجاج من مختلف الطوائف الدينية والطبقات الاجتماعية، وهم يرتدون ملابسهم التقليدية ويقفون تحت حنايا الكنيسة المظلمة التي لا ينيرها سوى ضوء شموع باهتة هنا وهناك (توين 2013: 513–519).

تكمن أهمية الحدث الديني بالنسبة لـ "توين، مارك" والحجاج المسافرين معه برؤية القبر المقدَّس، فقد عبَّر عن شوقه الكبير للمكان وربطه بالحدث، وكيف تجمع الناس حوله بشغف وحب، فهو المكان الذي صلب فيه السيِّد المسيح، وقد كان الحدث أمام الملأ، إن كنيسة القبر المقدَّس بالنسبة لـ "توين، مارك" أقدس مكان لملايين البشر، المكان الذي شهد على دموع الحجاج عبر العصور (توين 2013: 516–517).

في عام 1943م من القرن العشرين الميلادي استيقظت الإيطالية "فالتورتا، ماريا". (1897–1961م) (Maria Valtorta))[13] (فالتورتا 2020 ج1 2:1)، (Francis.ar.org.POP)على صوت يحدثها طالبًا منها أن تكتب وتصف كل ما تراه وتسمعه، وبالفعل بدأت الكتابة حتى عام 1947م، ثم توقفت لفترة من الزمن وعادت مرة أخرى للكتابة حتى عام 1953م؛ إذ أنجزت ما يقارب من 15000 صفحة حول نصوص الكتاب المقدَّس، وروايات المسيحيين الأوائل،

[13] ولدت ماريا في إيطاليا، وهي الابنة الوحيدة لقائد كتيبة الفرسان وأم مدرّسة للغة الفرنسية، انتقل والدها إلى شمال إيطاليا ثم استقروا بعد عدة سنوات في ميلانو، التحقت في حضانة للراهبات الأورسولين ثم انتقلت إلى المدرسة الابتدائية للراهبات المرسيليات، وفي أثناء دراستها بدأت تظهر عليها علامات الرهبنة، فأرادت ان تكرس نفسها لخدمة السيد المسيح، في عام 1917م عملت ممرضة في مستشفى فلورنسا العسكري لمدة عام ونصف، وبينما كانت تسير بصحبة والدتها في عام 1920م هاجمها أحد المتطرفين وقام بضربها بقضيب حديدي على ظهرها ألزمها الفراش لحين وفاتها، في أثناء ذلك وهبت نفسها للعدالة الإلهية فهي بداية حياة جديدة لها بالتواصل مع الله إلى أن توفيت عام 1961م بعد صراع مرير مع المرض، من أهم أعمالها "قصيدة الإنسان الإله" المترجم من الفرنسية إلى العربية، ويدور حول حياة السيِّد المسيح وأهم الأحداث الدينية التي حدثت في حياته.

الشهداء، والقديسين الذين اتبعوا حياة التقوى والزهد، إلا أن أغلب كتاباتها ركزت تركيزًا واضحًا على سيرة حياة سيدنا المسيح (فالتورتا 2020: 1–2).

يسجل الكتاب بأجزائه العشرة الأحداث الإنجيلية المتعلقة بالسيد المسيح منذ طفولته وحتى صلبه، إضافة إلى وصف طبوغرافية المدن الفلسطينية ونهر الأردن والطبيعة الزراعية المحلية لهذه المواقع، استطاعت "ماريا" أن تربط بين الإنجيل المقدَّس وبين الوحي الخاص الذي كان يُملي عليها ما تكتب (فالتورتا 2020: 2)، إنها رحلة حج روحانية دينية لراهبة قديسة لم تستطع السفر إلى الأراضي المقدَّسة بسبب مرضها وعجزها عن الحركة لكن إيمانها وحبَّها للسيِّد المسيح كانا الدافع الحقيقي لها في جعل حجها واقعيًّا لكل من يقرأ كتابها. استطاعت "ماريا" من خلال أسلوبها في الكتابة أن توضح مفهومًا دينيًّا للحج وهو "رحلة الروح" (Journey of the Soul). (Stoddard 1997 vol. 34: 43)، فالمفهوم قائم على نضج الإنسان من خلال تجاربه في الحياة، والانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضج الكامل من خلال وصفها لرحلة صوفية مليئة بالمشاعر المقدَّسة على الرغم من تجاهل بعض الباحثين في وقتنا الحاضر لمفهوم "الحج الروحي" لاعتقادهم أن الحج يجب أن يكون بدنيًّا، وعلى الحاج المسيحي أن يمارس طقوسه وشعائره الدينية على أرض الواقع (Stoddard 1997 vol. 34: 43).

سيعرض الباحثان مقتطفات من رحلة المسيح إلى نهر الأردن من خلال رحلة "ماريا" الروحية التي كتبتها بتاريخ 3/ شباط/ 1944م، في اليوم نفسه الذي زارها فيه السيِّد المسيح قائلة: "أرى سهلًا غير مأهول ولا نبات فيه لا حقول مزروعة بل بعض النباتات القليلة المتفرقة هنا وهناك على شكل طاقات مثل تجمعات نباتية حيث في الأرض بعض العمق، وهي هنا أقل جدبًا، هذه الأرض القاحلة وغير المزروعة هي على يميني، بينما الشمال خلفي، فهي بالنسبة لي تمتد باتجاه الجنوب، بالمقابل إلى يساري أرى نهرًا ضفتاه منخفضتان وهو كذلك يجري من الشمال إلى الجنوب، المياه غير عميقة، إنه موقع يسمح برؤية العمق. (فالتورتا 2020 ج2: 47).

وتتابع الوصف قائلة: "المياه بلون اللازورد المائل قليلًا للاخضرار حول الضفتين؛ حيث رطوبة الأرض تحدث شريطًا أخضر كثيفًا يمتع العين التعبة من كآبة انتشار الحجارة والرمال الممتدة بغير حدود، في البعيد هناك مرتفعات، أما قرب نهر الأردن فسلام عظيم، إنه مكان يوحي بتحليق ملائكي وأصوات سماوية، إنني أجد نفسي في مكان يحادث الروح". (فالتورتا 2020 ج2: 47).

بعد وصفها لطبوغرافية نهر الأردن تحدثت عن الجموع القادمة للاستماع إلى "يوحنا المعمدان" وهو يحثُّهم على تهيئة أنفسهم وقلوبهم لاستقبال المسيح قائلة: "أثناء هذه المشاهدات أرى المشهد المليء بالناس، هناك الكثير من الرجال بملابس مختلفة، يبدو البعض من عامة الشعب وآخرون من الأغنياء، ويبدو بعضهم الآخر من الفريسيين[14] بثيابهم

([14]) الفريسيون: طائفة من الفقراء الدينيين عند الله المختارون الذين كانوا إذا اختلفوا في مسألة فقهية زعموا أن الله يوحي إليهم بصوت يسمعه جمهورهم، يعتبر الفريسيون من أبرز وأكبر الفرق اليهودية ولها الكثير من الأتباع اليهود نظرًا لقدرتهم على تفسير أحكام الشريعة اليهودية، وبالتالي "أضفوا على أنفسهم ألقاب الكرامة والتبجيل والعلم فكانوا يسمون أنفسهم "السورفريم"؛ أي الفقهاء "والشابهميريم"؛ أي المفكرين الأحرار و"الثالميدي شكايم"؛ أي تلاميذ الحكماء"، وكلمة الفرنسيين مشتقة من كلمة "فروشيم" العبرية ومعناها المختارون أو الصفوة"، وقد اختلف المؤرِّخون والعلماء حول نشأة هذه الفقرة ومتى تكونت، فالبعض يذكر أن هذه الفئة ظهرت في عهد المكابيين وأنهم شاركوا في الثورة المكابية ضد الملك "انطيوخوس ابيفاسوس" بين عامي 175–163 ق. م. وهو الرأي الراجح، ويعتقد بعض الباحثين أن الفريسيين لا يكوِّنون فرقة دينية وإنما يمكن أن نطلق عليهم حزبًا سياسيًّا له اتجاهاته الدينية؛ لأنهم كانوا دائمًا ينادون باستعادة دولتهم اليهودية ويؤمنون بالمسيح الذي يجيء ليعيد ملكوت الله؛ أي دولتهم المسلوبة".

المزينة بالأهداب والشرائط. (فالتورتا 2020 ج2: 47).

ثم تتابع وصفها للمسيح وهو يتقدم على درب حافة عشبية تحاذي نهر الأردن، إنه "درب يعقوب" الذي سارت عليه قوافل الحجاج والمسافرين على مدى سنوات طويلة ليصل إلى يوحنا المعمدان بلباسه البسيط وكأنه من عامة الشعب ليتعمد منه"، تحدثت عن نفسها قائلة "أما أنا فقد أخذت بمنظر يسوع الذي يصلي ولم أعد أرى سوى هذا الوجه الذي برز على أرض الضفة الخضراء تلك" (فالتورتا 2020 ج2: 47).

يمكن القول من وصف حديث "فالتورتا، ماريا" مع السيِّد المسيح إنها تشعر بالهالة الدينية التي شعر بها الحجاج الأوائل وكأنهم مع السيّد المسيح ويوحنا المعمدان، إنها لرغبة باستعادة التوازن الداخلي للنفس البشرية، الرغبة في الانطلاق إلى الأمام والتسلح بالحب والطاعة؛ لذلك حرصت هذه الراهبة على وصف كل ما رأته بأسلوبها الشخصي الخاص من أجل جعلها واضحة للقارىء.

ينظر بعض الباحثين إلى رحلة الحج حاليًا بِوَصفِها رحلة دينية سياحية أكثر منها رحلة حج مقدَّسة؛ لأن السائح يغادر بلده أو موطنه لفترة من الزمن إلى بلد آخر لرؤية أماكن مشهورة دينيًا ومواقع دينية وتاريخية بغرض السياحة دون الانخراط في ممارسة الطقوس الدينية المتعلقة بالحج، ومع ذلك تعرض المكاتب السياحية للسائح ضمن جدول زمني للصلاة والتعبد مع العائلة والأصدقاء أو مع مجموعة من السياح لديهم الرغبة في تأدية بعض من الطقوس والعبادات الدينية في أثناء رحلتهم السياحية، فلا شيء منع هذا الأمر. (Fakhrutdinova et al. 2017 No. 20: 98).

وبالرغم من كونها رحلة سفر وسياحة لكنها تشترك في بعض النقاط المهمَّة مع رحلة الحج المقدَّسة في الماضي، مثل: الرغبة في الشفاء من آلام الجسد والروح، والدعاء والصلاة للأقرباء وللشخص نفسه، والصلاة من أجل المغفرة، وأيضًا الحاجة إلى تحقيق السلام النفسي والروحي معًا. (Fakhrutdinova et al. 2017 No. 20: 99).

ويستمر النقاش في مفهوم الحج وأغراضه ومقاصده العديدة، لقد كان الحج في الماضي يستغرق فترة طويلة من السفر في رحلة مليئة بالمتاعب والمصاعب يتخللها التوقف في عدة محطات للوصول إلى المكان المنشود، وكان السفر محفوفًا بالمخاطر، مثل: السرقة، واللصوص، والتعرض للمرض أو حتى الوفاة، ومع ذلك يرى الباحثون أن هؤلاء المسافرين يستحقون لقب "حاج ديني حقيقي"؛ لأنه أفنى حياته من أجل الدين، أما الآن فمن السهل إطلاق لقب حاج على أي شخص بسبب التقدم العلمي الذي ساهم في الوصول للأماكن المقدَّسة والمزارات الدينية بكل سهولة ويسر "إنه الحاج السائح"، فالحج في وقتنا الحاضر سياحة دينية، ازداد اهتمام الناس بها من أجل تعرُّف بلدان مختلفة وعلى ثقافات وعادات وأديان الشعوب الأخرى، فالسياحة الدينية اليوم مصدر اقتصادي مهم يساهم في زيادة مدخول الدولة من العملة النقدية، إنها شراكة حقيقية بين الضيف والمضيف بين السائح والمقيم، تنعكس بدورها على "صناعة السياحة" المتعلقة بالمتاحف، والكاتدرائيات، والمراكز الروحية التي يزداد الطلب عليها باستمرار. (Fakhrutdinova et al. 2017 No. 20: 99-101).

أما "ماسترز، بيتر" (2014م)، فينظر إلى الحج بمنظار مختلف، فهو يرى أن الإنسان أصبح يهتم باقتناء الحيوانات والمنازل الكبيرة، والممتلكات الثمينة، والسفر، والترفيه، وشراء الملابس التي استحوذت على حياة الناس وأفقدتهم فرصة التواصل مع الله من خلال رحلة الحج، فمن وجهة نظره هي ليست عيبًا أخلاقيًا أو أمرًا سيِّئًا، لكن يجب على الإنسان أن يسعى إلى خدمة الله، وأن يقوم بالأعمال الصالحة إذا أراد أن يكون حاجًا مؤمنًا وأن يتجنَّب المتع الشخصية

والشهوات السيئة، وأن يتفرغ لعبادته؛ فالحياة قصيرة، وعلى الحاج المؤمن أن يستغل كلَّ مرحلة من مراحل حياته بمقاومة مغريات العالم المادي، إنها "رحلة الحاج الإيمانية"، فنحن جميعًا حجاج على هذه الأرض (Masters 2014 Issue 1: 4-6).

إن الدافع من وراء الحج يجب أن يكون دينيًّا، ومع ذلك لا يستطيع المرء الآن أن يميز بين من هو "حاج" ومن هو "مسافر أو سائح"؛ لأن كليهما يذهب لأماكن معروفة، مثل الأسواق التجارية، والمهرجانات الاحتفالية، والأحداث الرياضية التي تجذب الكثيرين من الناس اليوم (Stoddard 1997 Vol. 34: 46).

قد تختلف أساليب الحكومات حاليًّا في الترويج للمواقع والأماكن المقدَّسة وأيضًا لطرق الحج في سياق سياحي، فأصحاب المصلحة يرغبون في العائد المادي فقط من وراء الحج، أما السلطات الدينية فهي ترغب في الاستفادة الدينية، وأيضًا المادية التي ستعود على كنائسها بالدعم النقدي من أجل الاستمرار والبقاء، فالاهتمام بالمواقع الدينية وترويجها سياحيًّا مع تحويل مسارات وطرق الحج إلى مواقع تراثية تربط الماضي بالحاضر قد تسبب إشكالية في دور الدين في الحج وأيضًا في تفاعل الحجاج الروحاني مع المكان وهويته المقدَّسة، بينما تمثل للسكان المحليين دخلًا ماديًّا من خلال الترويج لهذه الأماكن سياحيًّا وتراثيًّا وثقافيًّا؛ فالبعد الاقتصادي أهم من البعد الديني أو السياحي بالنسبة إليهم (Giovine 2019 Vol. 21. Issue 3: 367-383).

يقترح "ستودارد، روبرت" (Robert Stoddard) (1997م) لحل مشكلة التفريق بين من هو حاج وسائح بعمل استبيان أو مقابلة توضح رغبة وهدف كل واحد منهما بالسفر من أجل معرفة "الدافع الحقيقي" (True Motives) للرحلة وهذا يعتمد على عدد المسافرين الراغبين في الحج إلى مكان مقدَّس، فالوجهة التي يذهب إليها الحاج تعدُ! مهمة له، خاصَّةً إذا كان موقعًا دينيًّا مقدَّسا ومشهورًا بين الناس (Stoddard 1997 Vol. 34: 46).

رابعًا– الحج والأماكن الحقيقية:

قد تواجه الحاج بعض الصعوبات اليوم في تحديد مكان المقدَّس الوارد في الكتب المقدَّسة بسبب المتغيِّرات الجغرافية والطبوغرافية التي طرأت على الموقع مما يصعب عليه معرفته (Stoddard 1997 Vol. 34: 47)، وهذا يزيد من النقاش حول الأماكن الحقيقية والمزيفة، مثل موقع المغطس المكتشف على الجانب الشرقي لنهر الأردن والموقع القديم غير الحقيقي والمغلوط قرب طبريا (وهيب 2015: 34).

يعتمد "ستودارد" في تقييمه لرحلة الحج اليوم على طبيعة المكان الذي سيزوره الحاج وعلى المناسبة الدينية، فهو يرى أن الكثير من الحجاج اليوم يفضِّلون السفر إلى مكان مقدَّس في أثناء العطل والأعياد الرسمية، وهذا بدوره ينعكس على قدسيَّة المكان، وعلى أهمية الحدث الديني، فالناس في الهند –كما يُذكر– يزورون مكانًا تردَّد عليه الكثير من الرهبان وعاشوا فيه؛ لذا هم حجاج في نظره، والناس في أمريكا يسافرون لحضور موعظة دينية في احتفال ديني ما فيطلق عليهم لقب حجاج أيضًا (Stoddard 1997 Vol. 34: 48).

وبعض الباحثين من ينظر إلى الحج على أنه عادة اجتماعية أو نشاط اجتماعي يجب على الحاج القيام به، وأن طبيعة المكان المقدَّس هي من تفرض هذا الأمر، لكنه غير صحيح ولا يوجد دليل واضح على أن الأماكن المقدَّسة قد تحدث تغيُّرًا دينيًّا أو روحانيًّا يؤثر في النواحي الاجتماعية المتعلِّقة بلون الشخص أو مذهبه أو طبقته الاجتماعية. (Hutt 2012 Vol. 2: 3-7).

إن السفر بين ثقافات العالم المختلفة قد يثير مشكلات وقضايا أخلاقية، مثل مشكلة الاستشراق، وهذا ما أثارته رحلة الراهب الأمريكي والمتصوِّف المسيحي "توماس ميرتون" (Thomas Merton) في كتابه "المجلَّة الأسيوية" سنة (1968م)، (The Asian Journey of Thomas Merton)، الذي أطلق على نفسه لقب حاج مسافر إلى آسيا عندما قال: "غادرت الدير وتوجَّهت إلى آسيا ليس كباحث أو مؤلِّف وإنما كحاج فضولي لديه الرغبة في أن يستقي معلوماته من المصادر القديمة المتعلقة بالأديرة، فالهدف لا يتعلق بالدين أو بحياة الأديرة حسب وإنما في الرغبة في تأهيل نفسي كراهب لأكون الأفضل"(Barbour 2005 Vol. 28 no.1: 16).

ويتابع قائلًا: "اعتقد أنه في هذه المرحلة وعلى المدى الطويل على الشخص أن يكون مؤمنًا مخلصًا للمسيحية ولمجتمعات الأديرة الغربية، ومع ذلك عليه أن يتعمق بالبوذية والهندوسية من أجل الارتقاء بحياة الدير والمساعدة في تجديد الكنيسة الغربية والانخراط معها مرة أخرى (Barbour 2005 Vol. 28 no.1: 16)، إن مهمتنا الآن تنطوي على القيام برحلة لأبعد مسافة ممكنة من أجل البحث عن أنفسنا في داخل المجتمعات المحلية ومواطن السكان الأصليين الذين يختلفون عنا كثيرًا، وفي نهاية الرحلة الطويلة سنرى الغرباء الذين التقيناهم في سفرنا ما هم إلا نحن، بمعنى أدق سنعثر على المسيح في داخلنا(Barbour 2005 Vol. 28. no. 1: 18).

هذه مقتطفات من رحلة الحاج الراهب توماس ميرتون إلى آسيا التي قام بها من أجل مساعدة نفسه، والأديرة المسيحية من حيث المبدأ والهدف، لقد سافر بنفسه لآسيا لتحقيق أهداف ثلاث، أولها يتعلق بالمسافة وليس المكان، وثانيها يتعلق بالناس، وبمدى إيمان الشخص بنفسه وقدرته على الانخراط بالمجتمعات الأخرى، والهدف الأخير في رحلته ليس مؤسسي وإنما اختيار شخصي نابع من إيمانه العميق (Barbour 2005 Vol. 28. no. 1: 16).

إن رحلة توماس ميرتون لآسيا كما يعتقد "باربر جون" (John Barbour) في مقالته قائمة على المشاهدة اليومية، واللقاءات، والاقتباسات من الكتب، والأحلام والقصائد لأشهر مفكِّر ديني مؤثر عرفه القرن العشرين الميلادي، إنها رحلة حاول من خلالها "توماس ميرتون" أن يظهر شخصيته كحاج له القدرة على التواصل مع ثقافة وفلسفة المجتمعات الآسيوية بالرغم من صعوبة اللغة التي كانت تشكِّلُ عائقًا له، ومع ذلك كان يؤكِّدُ عمق التواصل القائم على الوحدة بعيدًا عن الكلمات ومرادفاتها عند الغرب، فالتواصل عنده قائم على التعاون والشراكة مع الآخرين من أجل البحث عن الذات (Barbour 2005 Vol. 28 no. 1: 20-21).

أما وجهة نظر (باربر جون) فيما يتعلق بالحاج والسائح وكيف نفرق بينهما، فله في ذلك بُعدٌ آخَرُ ونظرة مختلفة عن الباحثين ورجال الدين، فهو يرى أن الحج يدخل في صناعة السياحة، والحاج سيجد نفسه منخرطًا في كل أمور السياحة المتعلقة برحلته من خلال حجز الفنادق، والمطاعم، والبازرات، إنه شخص مُستهلك في صناعة السفر، أما بالنسبة إلى مسار رحلة السائح فهي روتينية؛ إذ ينتظر في مطارات غريبة أو أمام مكاتب الخطوط الجوية، يشرب كأسًا من الشاي والموسيقى من خلفه على أمل القيام برحلة نحو مكان مقدَّس كجزءٍ من برنامج سياحته (Barbour 2005 Vol. 28 no.1: 21-22).

يرغب "ميرتون الراهب" من رحلته بتوضيح فكرة قائمة على دمج الدين بكل ما هو جديد قائلًا: "على الراهب أن يكون منفتحًا على الحياة وعلى تجارب جديدة، وأن يتجاوز التقاليد إلى ما بعد ذلك من أجل التواصل مع نفسه والسماح لها بالانضباط معتمدًا على مقولة الدلاي لاما (Dalai Lama)[15] "من الآن وصاعدًا إخوتي، الجميع يقف عند قدميه"

[15] إن مصطلح لاما في البوذية يعني الموقَّر، والمعلِّم، والمتفوِّق، ويطلق هذا المصطلح على "رؤساء الأديرة أو المعلمين العظماء"، ويجري

(Encyclopaedia Britannica 2003) ولقد شدد ميرتون على الانفتاح مع المؤسسات الدينية المختلفة دون النظر إلى الثقافات والعادات والتقاليد واللهجات المتعددة؛ لأن المسيحية من وجهة نظره لا تنظر للأمور السابقة ذكرها؛ فهي أعمق من ذلك بكثير ((Barbour 2005 Vol. 28 no. 1: 21-22).

إن رحلة ميرتون من وجهة نظر الباحثين تبحث عن الحاجات الأساسية لدى الإنسان القائمة على الحرية، والسلام، والثقة بالنفس المؤمنة، إنها الرغبة في البحث عن المعنى الحقيقي للحج من خلال ميرتون السائح الراهب الذي رغب في الكتابة عن تجربته الدينية السياحية في آسيا ومدى تأثيرها في الغرب.

لقد ذكر ميرتون في أثناء رحلته أن الدلاي لاما عندما التقاه سأله: "هل جئت لتؤلِّفَ كتابًا غربيًا عنا؟ وما دوافعك؟ إن أعمال ومؤلفات ميرتون تخطت وبصعوبة التحيُّزَ الغربي وتحامله على آسيا من أجل الاستفادة من الثقافة الآسيوية، إنها رحلة حج تساهم في تعرُّف أخلاقيات السفر وعادات وتقاليد الشعوب الآسيوية من خلال الدليل أو المؤلَّف الذي كتبه ميرتون الراهب (Barbour 2005 Vol. 28 No. 1: 5-26).

قد يكون الحج في الوقت الحاضر للأراضي المقدَّسة "متأثرًا بالوضع السياسي، فعلى سبيل المثال مسيحيو الضفة الغربية ومعهم جيرانهم من المسلمين قد تأثروا بالأحداث السياسية من القرن الماضي؛ مما أثر في حركتهم في التنقل للوصول إلى الأماكن المقدَّسة في بيت لحم والناصرة، وأثَّر أيضًا في الوضع الاقتصادي للكنائس التي تعتمد على تبرُّعات الحجاج الأثرياء، ومع ذلك ما زال حجاج الأراضي المقدَّسة يقومون برحلة الحج والعماد في نهر الأردن في مواسم الأعياد الدينية (Hutt 2012 Vol. 2: 50).

نتائج البحث

توصل الباحثان من خلال بحثهما هذا إلى ما يأتي:

1. توضيح نظرة المستشرقين الغربيين ورجال الدين المسيحي لمفهوم الحج المسيحي في الوقت الحاضر، ورغبتهم في إحياء روحانية الحج في عالم مادي من خلال وصفهم لرحلتهم سواء على أرض الواقع أو في الحقيقة.

2. دعوة رجال الدين المسيحي اليوم إلى االسفر لأي مكان مقدَّس، وليس بالضرورة إلى فلسطين أو مصر أو الأردن؛ من أجل الشعور بالمسيح وبروح المسيح والاندماج من أجل التوبة وطلب المغفرة منه؛ من أجل الشعور بالسلام الداخلي الذي وصل إليه الحجاج المسيحيون الأوائل.

3. تناول الباحث الرموز الدينية المتعلقة بالحج المسيحي للأراضي المقدَّسة من خلال وصف حجاج القرون الوسطى لرحلتهم مع إبراز هذه الرموز وأهميتها في كتاباتهم، خاصَّةً الصليب الذي صَلَبَ المسيحَ، عليه السلام.

4. تشجع الكنيسة المسيحيين اليوم على القيام برحلة الحج إلى أماكن دينية مختلفة؛ من أجل نشر ما يعرف بالسياحة الدينية التي هي مصدر اقتصادي يساهم في مدخول الدولة من العملة النقدية، التي تنعكس بدورها على صناعة السياحة المتعلقة بالمتاحف والكاتدرائيات والمراكز الروحية من كنائس وأديرة.

5. سعى الباحثون إلى إبراز فكرة أن الحاج يجب أن يقوم بالأعمال الصالحة وأن يتفرغ للعبادة وأن يتجنب المتع

اختيار الشخص لهذا المنصب بناءً على علمه ونضجه الفكري وحكمته ورجاحة عقله، وقد استقر أتباع الدلاي لاما في منطقة التبت شمال شرق الهند واعتنقوا الديانة البوذية القائمة على ثلاث قواعد أساسية، هي: "المعلم بوذا، والتعليم (الدراما)، والمجتمع (سانغا)" إضافة إلى مجموعة من القواعد العقائدية الدينية التي يؤمن بها شعب التبت، التي ساهمت في انتشار البوذية في عدد من دول جنوب شرق آسيا.

الشخصية والشهوات الجسدية.

6. إن الحج اليوم إلى الأماكن المقدَّسة حول العالم لا تعتمد على لون الشخص أو مذهبه أو طبقته الاجتماعية، فهي متاحة للإنسان الراغب في القيام برحلته من أجل التوبة والمغفرة.

7. اختلفت طرائق الحج المسيحي بين علماء الدين المسيحي، فمنهم من قام برحلته على أرض الواقع وعاش تجربته ماديًّا وروحيًّا، مثل جورج كريستيان، ومنهم من قام برحلته روحانيًّا، مثل "ماريا فالتورتا" التي اتَّحدت مع روح المسيح وهي طريحة الفراش.

8. دعوة رجال الدين المسيحي المسيحيين اليوم أن يكونوا منفتحين على ثقافات العالم والمؤسسات الدينية المختلفة من أجل العثور على المسيح في داخلهم.

9. بالرغم من تأثر الحج المسيحي اليوم بالوضع السياسي في الأراضي المحتلة فإن هذا لم يمنع المسيحيين بالقيام بحجهم وبطقوسهم الدينية المتعلقة بزيارة القبر المقدَّس وإضاءة الشموع فيه، وأيضًا الاحتفال بأعيادهم المجيدة في كنائس بيت لحم.

Orientalism and Christian Pilgrimage in Contemporary History

Heba Farouk Haroun[1], Salameh Saleh Al Naimat [2]*

ABSTRACT

This study focuses on the concept of orientalism and its relation to Christian pilgrimage in modern times, and the views of Western Christian religious figures, historians, researchers, and pilgrims to share their experiences with Christians who want to make a journey to the Holy Land, monks' caves or other holy places around the world. The benefits of Christian pilgrimage in their view will be spiritual more than physical by visiting the Christian pilgrim's true places of pilgrimage. The invitation here is to teach Christians the religious ceremonies that were done by the early pilgrims who had followed Christ's steps and his apostles who took the Bible as their guide. According to them, pilgrimage is not for fun or entertainment but for worship and forgiveness, an idea that lasted for a long time until now. This study included an introduction, a definition of orientalism, and an explanation of the western Orientalists' point of view of pilgrimage, by giving examples of pilgrims' stories who made their journey whether in reality or in a dream.

Keywords: *Orientalism, Western Orientalists, Pilgrimage, Religious Symbols, Holy Places.*

[1] *Email: heba.haroun1970@gmail.com, (Heba Farouk Haroun) Orcid number: https://orcid.org/0000-0003-4729-3421, Department of History, School of Arts, The University of Jordan, Jordan.
[2] president@mutah.edu.jo (Salameh Saleh Al Naimat) Orcid number: https://orcid.org/0000-0003-3113-2770 Department of History, School of Arts, The University of Jordan, Jordan.

Received on 3/5/2023 and accepted for publication on 14/9/2023.

المصادر والمراجع العربية

أبو الخير، عبد المسيح بسيط (2004)؛ *ظهورات العذراء حول العالم ودلالاتها*، القاهرة، كنيسة السيدة العذراء الأثرية، ط6.

بارت، رودي (2011)؛ *الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، المستشرقون الألمان منذ ثيودور نولوكا*، ترجمة مصطفى ماهر، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

بطريركية الروم الأورشليمية: www.jerusalempatriarchate.info

بنيان، جون (1844)؛ *سياحة المسيحي*، بيروت: الجامعة الأمريكية.

بنيان، جون (1984)؛ *سياحة المسيحي*، تعريب فؤاد حبيب، القاهرة: لجنة خلاص النفوس للنشر، ط4.

توين، مارك (2013)؛ *رحلة الحجاج إلى الأراضي المقدَّسة*، ترجمة عبدالباقي بركات، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ط1.

الحاج، ساس سالم (1991)؛ *نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية*، جزءان، مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي.

الخربوطلي، علي حسني (1988)؛ *المستشرقون والتاريخ الإسلامي*، سلسلة تاريخ المصريين، ع 15، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

سفر المزامير، الاصحاح 48: 2، الموقع الالكتروني .St-Takla.Org

عاشور، سعيد (1976)؛ *تاريخ أوروبا في العصور الوسطى*، ج1، بيروت: دار النهضة العربية.

فالتورتا، ماريا، (2020)؛ *قصيدة الإنسان الإله، الإنجيل كما أوحي به إليّ*، المقدمة، الجزء الثاني/3، موقع كتابات ماريا فالتورتا، ترجمة فيكتور مصلح
https://sites.google.com/site/mariavaltortainarabic/mv/iv01/int?authuser=0

فالتورتا، ماريا (2020)؛ قصيدة الإنسان الإله، الإنجيل كما أوحي به إليّ، السنة الأولى في الحياة العلنية عماد يسوع في نهر الأردن، ترجمة فيكتور مصلح، المقدمة، ج1+2، موقع البابا فرنسيس، موقع الأزمنة المريمية.

لاغرانج، ماري جوزيف (1928)؛ *إنجيل يسوع المسيح*، تعريب أوغسطين مرمرجي الدومنكي، لبنان: مطبعة المراسلين اللبنانيين.

مجموعة مؤلفين (1995)؛ *قاموس الكتاب المقدَّس*، هيئة التحرير بطرس عبد الملك وجون ألكسندر طمسن وإبراهيم مطر، القاهرة: دار الثقافة.

الفرنسيسكاني، وليام عبد المسيح سعيد، (6 آب، 2021)؛ *عيد تجلي السيد المسيح له المجد على جبل طابور*، الموقع الإلكتروني: https://www.abouna.org.

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، St-Takla.org، مجمع فينا 1311 – 1312م، المرفوض ويدعونه المجمع المسكوني الخامس عشر.

منصور، خيري (2001)؛ *الاستشراق والوعي السالب*، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1.

النملة، علي بن أبراهيم الحمد (1998)؛ *المستشرقون والتنصير: دراسة للعلاقة بين ظاهرتين مع نماذج من المستشرقين المنصرين*، موسوعة الدراسات الاستشراقية (4)، الرياض: دار التوبة، ط1.

وهيب، محمد (2015)؛ *اكتشاف موقع عماد السيد المسيح/ المغطس (تل مار الياس)*، سلسلة التوعية الأثرية ووئام الأديان في الأردن، عمان: وزارة الثقافة الأردنية.

يوحنا بولس الثاني، (2000)؛ *خطاب البابا الأعلى بخصوص الحج إلى الأماكن المرتبطة بتاريخ الخلاص*، الموقع الإلكتروني: www.vatican.va

REFERENCES

Abu al-Khayr, ‘Abd al-Masīḥ Basīṭ (2004); *Ẓuhūrāt al-‘Adhrā’ ḥawla al-‘Ālām wa-Dalālātuhā*. [Apparitions of the Virgin Around the World and Their Indications], Cairo, 6th ed.

Arapoglou, Eleftheria (2008); “Mark Twain's "Spatial Play": Venice and the Holy Land”, *The Mark Twain Annual*, Ann M. Ryan ed., vol. 6, Issue 1, Pp. 1-135.

‘Ashūr, Sa‘īd (1976); *History of Europe in the Middle Ages*, vol. 1, Beirut: Dār al-Nahḍah al-‘Arabīyah.

Baert, Barbara (2004); *A Heritage of Holy Wood, The Legend of the True Cross in Text and Image*. Leiden: Brill.

Batriarkiya al-Rum al-Urushalimiyah: www.jerusalempatriarchate.info

Bale, Anthony (2017); “Cosmopolitanism or Competition? Late Medieval Pilgrims at the Eastern Christian Holy Places”. *Études arméniennes contemporaines*, EAC 9, Bibliothèque Nubar de l'UGAB, Pp. 17-37.

Barbour, John D. (2005); “The Ethics of Intercultural Travel: Thomas Merton's Asian Pilgrimage and Orientalism”. *Biography*, Vol. 28, No.1, Pp: 15-26.

Bunyon, John (1844); *Pilgrim’s Progress* Beirut: al-Jāmi‘ah al-Amrikīyah.

Bunyon, John (1984); *Pilgrim’s Progress*, Fū’ād Ḥabīb trans., Cairo: Dār Nashr al-Kitāb.

Bowie, Fiona (2006); *The Anthropology of Religion: An Introduction*, Oxford: Wiley-Blackwell.

Capets, Rachel (2018); *The Impact of Pilgrimage upon the Faith and Fatih-based practice of Catholic educators*, PhD. Thesis, College of Education, University of Notre Dame, Australia.

Encyclopaedia Britannica (2003); “Lama: Tibetan Buddhism”. *Encyclopaedia Britannica*, Lama | Tibetan Buddhism, Monasticism, Reincarnation | Britannica

Edwards, Jonathan (1995); *The Works of Jonathan Edwards: Religious Affections, with a Memoir by Sereno E. Dwight*, Revised and corrected by Edward Hickman Edward, Vol. 2, section I. Edinburgh, New Haven and London: Yale University Press.

Fakhrutdinova, L.R.; Gabdrakhmanov, N. K.; Grigorieva, E.V.; Eidelman, B.M. and Bunakov, O. A. (2017); “Religious tourism in the tourism system”, *Revista San Gregorio*, No. 20, Special Edition, Pp. 96-103.

Available at: https://dialnet.unirioja.es/descarga/articulo/6236954.pdf

al-Fransiskānī, William ‘Abd al-Masīḥ Sa‘īd (6 Aug. 2021); “‘*Īd Tajalī al-Sa‘id al-Masīḥ luh al-Majd ‘alā Jabal Ṭābūr*”. [Feast of the Transfiguration on Mount Tabor] web site: https://www.abouna.org

George, Christian T (2016); “The Discipline of Christian Pilgrimage”. *Traveling Well*, Texas: Institute for Faith and Learning at Baylor University, Pp. 19-27.

Giovine, Michael and Choes, Jaeyeon (10-June 2019). “Geographies of Religion and Spirituality: Pilgrimage beyond the ‘Officially’ Sacred”. *Tourism Geographies*. Vol. 21, Issue 3.

Hosta, Nilay and Limon, Birsen (Journey 2010); “Changing Features of the Concept of Pilgrimage. The example of The Mevlana's Museum in Konya Pilgrim as a term”. *Pilgrimages Today*, Scripta Institute Donneriani Aboensis (DI) Finland Vol. 22, Pp. 196-210.

Hutt, Curtis (2012); "Pilgrimage in Turbulent Contexts: One Hundred Years of Pilgrimage to the Holy Land". *International Dialogue, A Multidisciplinary Journal of World Affairs (JWA)*, vol. 2, Pp. 34-64.

al-Ḥāj, Sās Sālim (1991); *Naqd al-Khiṭāb al-Istishrāqī: al-Ḍāhirah al-Istishrāqīyah wa-Atharuhā fī al-Dirāsāt al-Islāmīyah,* [Critic of Orientalist Discourse. The Phenomenon of Orientalism and Its Impact on Islamic Studies}. 2 vols., Malta: Markaz Dirāsāt al-'Ālam al-Islāmī.

Halbwachs, Maurice (1971); *La topographie légendaire des Évangiles en Terre Sainte; étude de mémoire collective*, Paris: Presses Universitaires de France.

John Paul II (2000); *Khiṭāb al-Paba al-A'lā bi-khuṣūs al-Ḥajj ila al-Amākin al-Murtabiṭah bi-Tārīkh al-Khalāṣ* [Speech of Pope about Pilgrimage to the Places Associated with the History of Salvation].

Kassis, Rami (2016); *Theology of Pilgrimage: Listening to the Living Stones*, Bayt Sahūr: Alternative Tourism Group - Study Center, Palestine.

al-Kharbuṭlī, 'Alī Ḥusnī (1988); *al-Mustashriqūn wa-al-Tārīkh al-Islāmī* [Orientalists and Islamic History]. Silsilat Tārīkh al-Maṣriyin, no.15, Cairo: al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmah lil-Kitāb.

Kreimer, Noga Collins (2016); "The Lifecycle of Concepts: the Case of 'Pilgrimage Tourism'. *Tourism Geographies*, vol. 18(3), Pp. 1-13.

Lagrange, Marie-Joseph (1928): *L'Evangile de Jésus Christ*, Augustin Marmarjī trans., Lebanon: Maṭba'at al-Murāsilīn al-Lubnāniyīn.

Lubov, Deborah Castellano (2021); "What is the Point of a Pilgrimage?". *Simply Catholic*, in: https://www.simplycatholic.com/

Majmū'at Mu'allifīn (1995); *Qāmūs al-Kitāb al-Muqadas.* [Dictionary of the Bible], Būṭrus 'Abd al-Malik; John Alexander Ṭamsen and Ibrāhīm Maṭar eds., Cairo: Dār al-Thaqāfah.

al-Markaz al-Kathulikī lil-Dirāsāt wa-al-I'lām (2020); https://www.abouna.org CITED IN ARTICLE?

Manṣūr, Khayrī (2001); *al-Istishrāq wa-al-Wa'ī al-Sālib*, [Orientalism and Negative Consciousness] Beirut: al-Mu'assasah al-'Arabīyah lil-Dirasāt wa-al-Nashir.

Masters, Peter (2014); "The Pilgrim Concept". *The Sword and Towel*, Issue 1, Metropolitan Tabernacle, https://metropolitantabernacle.org/articles/the-pilgrim-concept/

al-Namlah, 'Alī ibn Ibrahīm al-Ḥamad (1998); *al-Mustashriqūn wa-al-Tanṣīr: Dirāsah lil-'Alāqah bayn Dhāhiratayn ma ' Namādhj min al-Mustashriqīn al-Munaṣirīn*: [Orientalists and Christianization. A Study of the Relation Between the Two Phenomena with Examples from Orientalist Christian Converts]. https://www.islamhouse.com.

Nolan, Mary Lee and Nolan, Sidney (1989); *Christian Pilgrimage in Modern Western Europe*, North Carolina: Chapel Hill and London, The University of North Carolina Press.

Paret, Rudi (2011); *al-Dirāsāt al-'Arabīyah wa-al-Islāmīyah fī al-Jāmi'āt al-Almānīyah, al-Mustashriqūn al-Almān mundhu Theodor Nöldeke*, [The Study of Arabic and Islam at German Universities. German Orientalists Since Theodor Nöldeke], Muṣṭafā Māhir trans., Cairo: al-Markiz al-Qawmī lil-Tarjamah.

Ritsema Van Eck, M. P. (2017); *Custodians of Sacred Space: Constructing the Franciscan Holy Land Through Texts and Sacri Monti* (ca 1480-1650), Amsterdam: GVO Drukkers & Vormgevers B.V., Ede.

Ryan, Patrick J. (2013); *To be A Pilgrim: A Geography of Faith For Jews, Christians and Muslims,* New York: Fordham University.

Safar al-Mazamir, al-Iṣḥāḥ 48:2 al-Mawqi‘ al-Iliktrūni St-Takla.org, Turāth al-Kanīsah al-Qibīiyah al-Urthudhuksiyah.

Schein, Sylvia (2005); *Gateway to the Heavenly City: Crusader Jerusalem and the Catholic West (1099-1187),* in: Church, Faith, and Culture in the Medieval West, Abingdon, Oxon; New York : Routledge, Taylor and Francis Group.

Stoddard, Robert H. (1997); "*The Geography of Pilgrimage". Defining and Classifying Pilgrimage Geosciences and Man* Journal, Vol. 34, Pp. 41-60.

Twain, Mark (2013); *Innocents Abroad*, ‘Abd al-Bāqī Barakāt trans., Cairo: al-Markaz al-Qawmī lil-Tarjamah.

Valtorta, Maria (2020); Qaṣīdat al-Insān al-Ilah, al-Injīl kamā Uḥiyah bih ilaya, [The Story of the Divine Man, the Gospel as Revealed to Me] al-Muqadimah, Part 2/3, Mawqi‘ Kitābāt Maria Valtorta, Vicore Muṣliḥ trans. https://sites.google.com/site/mariavaltortainarabic/mv/iv01/int?authuser=0

Valtorta, Maria (2020); Qaṣīdat al-Insān al-Ilah, al-Injīl kamā Uḥiyah bih ilaya], al-Muqadimah, Mawqi‘ al-Paba Fransīs. [The Story of the Divine Man, the Gospel as Revealed to Me, Introduction. The Position of Pope Francis].

Wace, Henry (1911); *A Dictionary of Christian Biography and Literature to the end of the Sixth Century A.D., with an Account of the Principal Sects and Heresies*, Boston: Little, Brown and Company.

Wahīb, Muḥammad (2015); *Iktishāf Mawqi‘ ‘Imād al-Sayyid al-Masīḥ / al-Maghṭas (Tal Mar Ilyās),* [The Discovery of the Site of the Baptism of Christ / al-Maghtas / Tal Mar Ilyas] Silsilat al-Taw‘iah al-Atharīyah wa-wi’ām al-Adīyān fī al-Urdun, ‘Ammān: Wizārat al-Thaqāfah al-Urdunīyah.

Wiśniewski, Łukasz (2018); "Religious Tourism in Christian Sanctuaries: The Implications of Mixed Interests for the Communication of the Faith", *Church Communication and Culture*, vol. 3, Issue 3, Pp. 199-220.